مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ٥: ١٢–٢٠)

في تلك الأيامِ جَرَتْ على أيدِي الرسُلِ آياتٌ وعجائبُ كثيرةٌ في الشعب. (وكانوا كلُّهم بنفسٍ واحدةٍ في رواقِ سُليمان* ولم يكن أحدٌ من الآخرين يجترئُ أن يُخالِطَهم. لكن كان الشعبُ يُعظِّمُهم* وكان جماعاتٌ من رجالٍ ونساءٍ ينضمُّون بكثرةٍ مؤمنينَ بالرب)* حتى إنَّ الناسَ كانوا يخرُجون بالمرضى إلى الشوارعِ ويضعونَهم على فُرُشٍ وأَسِرَّةٍ ليقعَ ولو ظِلُّ بُطرُسَ عند اجتيازه على بعض منهم* وكان يجتمعُ أيضاً إلى أورشليمَ جمهورُ المدن التي حولها يحمِلون مرضى ومُعذَّبينَ من أرواحٍ نجِسة. فكانوا يُشفَون جميعُهم* فقام رئيسُ الكهنةِ وكلُّ الذينَ معه وهم من شيعةِ الصدُّوقيينَ وامتلأوا غيرةً* فألقَوْا أيديَهم على الرسُلِ

أحد توما

بعد قيامة الرب يسوع من بين الأموات، كان التلاميذ غيرَ واثقين ممّا حدث بعد، مع أن النسوة أخبرنهم بأمر القيامة، إلاّ أنهم كانوا خائفين وفضّلوا الاختباء على مواجهة الأمر الواقع، منتظرين ومترقّبين حدوث أمر ما أو متوقعين أن يمرّ حدث صلب المسيح ودفنه على خير، فيتابعون حياتهم وكأن شيئاً لم يكن. كما ظنّوا أنّ اختباءهم سيحميهم ويبقيهم بمنأى عن ملاحقة اليهود لهم، كونهم كانوا من أتباع الناصريّ. غير أنّ الربّ أراد أن يتابع المسيرة معهم، وقد حاول أن يظهر لهم أنّ أمر قيامته لا يمكن لأيّ شيءٍ أن يخفيه ولو كان حائطاً مدعّماً، ولن يدع أحداً يقف في درب من سيبشّرون بقيامته ولو أدخلوا السجن، كما يمكنه أن ينقل البشرى بالطرق الإستثنائيّة، من خلال النساء مثلاً اللواتي لم تكن كلمتهن مسموعة في المجتمع اليهودي.

في قراءتي العهد الجديد اللتين تُقرآن على مسامعنا في أحد توما يلفتنا أمران في ما يتعلق بالعوائق التي قد تواجه البشارة بالقيامة.

العدد ٢٠٠٩/١٧
الأحد ٢٦ نيسان
أحد الرسول توما
تذكار القديس الشهيد في الكهنة باسيليس أسقف أماسية
اللحن الأول
إنجيل السَحَرْ الأول

ففي فصل الإنجيل (يوحنا ٢٠: ١٩–٣١) يخبرنا الرسول يوحنّا كيف أن الرب يسوع دخل على التلاميذ وهم مختبئون في العليّة والأبواب مغلقة. وفي القراءة من أعمال الرسل (أعمال ٥: ١٢–٢٠) يخبرنا الرسول لوقا كيف أن رئيس الكهنة ومَن معه من شيعة الصدّوقيين (وهم لا يؤمنون بقيامة الأجساد) ألقوا القبض على الرسل وجعلوهم في الحبس العام، بعدما كانوا في الهيكل يبشّرون ويجرون العجائب، إلاّ أن ملاك الله فتح أبواب السجن ليلاً وأخرجهم، وقال لهم «امضوا وقفوا في الهيكل وكلّموا الشعبَ بجميع كلماتِ هذه الحياةِ» (أعمال ٥: ٢٠).

إنّ كلمة الله ثقيلة جداً على مَن لا يعرفه ومَن لا يقبله على أنّه خالقه ومعطي الحياة، وهي أثقل على مَن يعرفه ولكنّه لا يريد أن يسلك في وصاياه، لذلك حاول الإنسان منذ القديم أن يتحاشى ملاقاة الله أو سماع كلمته والعمل بها أو حتى نقلها إلى الآخرين، بسبب من خطاياه أو بسبب الخوف من العواقب. ففي العهد القديم مثلاً نرى آدم وحواء يختبئان من وجه الرب بعد أن خالفا

وجعلوهم في الحبس العام* ففتح ملاكُ الربِّ أبوابَ السِّجنِ ليلاً وأخرجهم وقال* أمضُوا وقِفوا في الهيكلِ وكلّموا الشعبَ بجميعِ كلماتِ هذه الحياة.

الإنجيل

(يوحنا ٢٠: ١٩–٣١)

لما كانت عشيَّةُ ذلكَ اليومِ وهو أولُ الأسبوعِ والأبوابُ مُغلَقةٌ حيثُ كانَ التلاميذُ مجتمعينَ خوفاً من اليهودِ جاءَ يسوعُ ووقف في الوسْطِ* وقال لهم السلامُ لكم* فلما قال هذا أراهُم يديهِ وجنبَهُ. ففرح التلاميذُ حينَ أبصروا الربَّ* وقال لهم ثانيةً السلامُ لكم كما أرسلني الآبُ كذلك أنا أرسِلُكم* ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم خُذوا الروحَ القدس* مَن غفرتُم خطاياهم تُغفَرْ لهم ومَن أَمسَكْتم خطاياهم أُمسِكَتْ* أما توما أحدُ الإثنَي عَشَرَ الذي يُقالُ له التوأم فلم يكنْ معهم حين جاءَ يسوع* فقال له التلاميذُ الآخرونَ إنَّنا قد رأينا الربَّ. فقال لهم إن لم أعاينْ أثَرَ المساميرِ في يديهِ وأضَعْ إصبعي في أثَرِ المساميرِ وأضَعْ يدي في جنبهِ لا أؤمن* وبعد

وصاياه وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، إلاّ أنّ الله وجدهما وأنبهما (تكوين ٣: ٨–١٩). كما أنّ يونان النبي هرب من وجه الله بعد أن تلقّى أمراً منه بالتنبّوء إلى أهل نينوى بالدمار بسبب خطاياهم، وربما فعل ذلك خوفاً من ردّة فعل أهل نينوى، إلاّ أنّ الله أصرّ على أمره له وعلّمه أنّ الهدف هو الدعوة إلى التوبة، لأنّ الله يشاء الكلّ أن يخلصوا (راجع سفر يونان). إرميا من جهته اعتبر نفسه غير أهل ليكون نبيًّا لله وهو لا يعرف أن يتكلّم لأنّه وَلَدٌ، غير أنّ الله يصرّ أيضاً قائلا له: «لا تَقُلْ إنّي وَلَدٌ لأنَّكَ إلى كُلِّ مَن أُرسِلُكَ إليه تذهبُ وتتكلّمُ بِكُلِّ ما آمُرُكَ به. لا تَخَفْ من وجوهِهم لأنّي أنا معكَ لأُنقِذَكَ» (ارميا ١: ٧–٨)، وذلك لأنّ الله نفسه سيتكلّم بفم ارميا، لأنّ كلمة الله تستخدمنا كوسيلة لها: «ومدّ الربُّ يَدَهُ ولَمَسَ فَمي وقال الربُّ لي ها قد جَعَلْتُ كلامي في فَمِكَ» (ارميا ١:٩).

غير أنّ الإنسان الذي يقبل كلمة الله في داخله ويدعها تتملّك فيه، يتلقّى من الله قوّة وشجاعة لا يمكن لأيّ قوّة في العالم أن تُطفئها، وهذا نراه جليًّا في حال الفتية الثلاثة، كما هو حال الرسل أيضاً. الفتية الثلاثة الذين كانوا مملوئين من حكمة الله لم يُذعنوا لأمر الملك نبوخذنصر بالسجود للتمثال الذي صنعه، لأنّهم لا يعبدون إلاّ الله وحده، ولم يهتمّوا بالعواقب. فقد أصدر الملك أمراً بزجّ كل مَنْ لا يسجد للتمثال في أتون متّقد. وعندما حاول الملك استمالتهم، أصرّوا على موقفهم قائلين للملك: «يا نبوخَذْنصَّرُ لا يَلزَمُنا أن نُجيبَكَ عن هذا الأمرِ. هوذا يوجدُ إلهُنا الذي نعبُدُهُ يستطيعُ أن يُنجينا من أتُّونِ النارِ المُتَّقِدَةِ وأن يُنقِذَنا من يَدِكَ أيُّها المَلِكُ. وإلاّ فليَكُنْ معلوماً لك أيُّها المَلِكُ أنّنا لا نعبُدُ آلِهَتَكَ ولا نسجُدُ لِتمثالِ الذَّهَبِ الذي نَصَبتَهُ» (دانيال ٣: ١٧ و١٨). وهكذا كان، فقد أُلقوا في الأتّون إلاّ أنّ ملاك الله نزل في النار وحفظهم ولم يصبهم أذى (دانيال ٣: ١–٣٠). كما أنّ الرسل واجهوا التهديد والسجن لكي يُمنعوا من التبشير بقيامة الرب. ففي كتاب أعمال الرسل عدّة حوادث سجن للرسل: «وبينما هما (بطرس ويوحنا) يُخاطِبانِ الشعبَ أقبلَ عليهما الكَهَنَةُ وقائِدُ جُنْدِ الهيكلِ والصَّدُّوقيونَ مُتَضَجِّرينَ من تعليمِهما الشعبَ ونِدائِهما في يسوعَ بالقيامةِ من الأمواتِ، فألقوا عليهما الأيادي ووضَعوهُما في حَبْسٍ إلى الغدِ لأنَّه كان قد صارَ المساءُ» (أع ٤:١–٣)، بالإضافة إلى الحادثة التي تُليت على مسامعنا اليوم (أعمال ٥: ١٢–٢٠)، ورسالة الرب كانت واضحة للرسل: «امضوا وقِفوا في الهيكلِ وكلِّموا الشعبَ بجميعِ كلماتِ هذه الحياةِ» (الآية ٢٠)، وجواب الرسل للذين سجنوهم كان واضحاً أيضاً: «ينبغي أن يُطاعَ اللهُ أكثرَ من الناس، إلهُ آبائِنا أقامَ يسوعَ الذي أنتم قَتَلتُموهُ مُعلِّقينَ إيّاه على خَشَبَةٍ، هذا رفَّعَهُ اللهُ بيمينِهِ رئيساً ومُخلِّصاً ليُعطِيَ إسرائيلَ التوبةَ وغُفرانَ الخطايا، ونحن شهودٌ له بهذه الأمورِ والروحُ القدُسُ أيضاً الذي أعطاهُ اللهُ للذينَ يُطيعونَهُ» (أعمال ٥: ٢٩–٣٢).

انّ الكنيسة المقدّسة تؤكّد لنا في هذا اليوم أنّه لا يمكن لأيّ شيء ولأيّ كان أن يقف عائقاً أمام كلمة الله، كلمة البشرى بالخلاص بقيامة

ثمانيةِ أيام كان تلاميذُه أيضاً داخلاً وتوما معهم فأتى يسوعُ والأبوابُ مُغلَقةٌ ووقفَ في الوسْط وقال السلامُ لكم* ثم قال لتوما: هات إصبَعَكَ إلى هنا وعايِنْ يديَّ وهاتِ يدَكَ وَضَعْها في جنبي ولا تكُنْ غيرَ مؤمن بل مؤمناً* أجاب توما وقال له: ربّي وإلهي* قال لهُ يسوع: لأنكَ رأيتَني آمنتَ، طوبى للذينَ لم يَرَوا وآمنوا* وآياتٍ أُخَرَ كثيرةً صنعَ يسوعُ أمام تلاميذِه لم تُكتَبْ في هذا الكتاب. وأمَّا هذه فقد كُتِبَتْ لتؤمنوا بأنَّ يسوعَ هو المسيحُ ابنُ الله. ولكي تكونَ لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمِه.

تأمل

إذا كانت أجساد البشر المائتة تطهر كل أثر من آثار الجراحات التي تصاب بها فكيف احتفظ الجسد غير المائت بآثار الجراح؟ أراد المخلص أن يحتفظ بآثار الجراحات ليبقى واضحاً للجميع ان جنبه قد طُعن بحربة من أجل العبيد وانه صُلب من أجلهم. يعتبر السيد آثار المسامير التي بقيت في جسده مجداً لله. أتقاس محبةٌ بالمحبة التي أظهرها الرب يسوع المسيح من بين الأموات، وهي بذلك تشّجعنا أيضاً وتذكّرنا بأن الرب يقف بجانبنا ويعين ضعفنا حتى نستطيع أن نعلن أمر القيامة قائلين «المسيح قام، حقاً قام».

قيامة المخلّص

كانت غاية خلق الله للإنسان أن يهبه الحياة الأبديّة والشركة معه. لكن تغرُّب آدم عن الله بالخطيئة عزله عن مبدأ الحياة وعن هدف وجوده، فكان أن تجسّد كلمة الله ليُعيد إلى الإنسان دعوته. وقد أدّى حضور المسيح بالجسد إلى تبديل واقع حياتنا. المسيح «آدم الثاني» أسّس لإنسانيّة جديدة. ونعمة الله، الساكنة في قلوب محبّي المسيح، باتت تهب الحضارة والتاريخ البشريين معناهما.

آباء الكنيسة يعلّمون أنّ الإنسانيّة بلغت غاية وجودها في سرّ تجسّد كلمة الله، أي باتحاد ابن الله الوحيد بطبيعة الأنام. وهذا الإتحاد لا يعني سوى تألّه الإنسان ومشاركة كلّ منّا بالحياة الإلهيّة الأبديّة التي للثالوث القدّوس من قبل إنشاء العالم.

كيف أُعلنت هذه الحياة وكيف انفتح أمامنا باب المشاركة فيها؟

أساس هذا كلّه أنّنا نعيش في واقع بدّله حضور المسيح. بدّله بموته وقيامته. المسيح غلب الموت ووهب الحياة للبشر. ولا شيء يقوى على هذه الغلبة. عَمَلُ الفداء لم يكن مجرّد مغفرة للخطايا أو مصالحةً للإنسان مع الله. كان انعتاقاً للإنسان من الموت والخطيئة. قوّة موت المسيح لم تكن في كونه موتَ إنسانٍ بريءٍ بل في أنه موت الذي «هو القيامة والحياة» (يوحنا ١١: ٢٥). وبموت المسيح امتدّ فعل التجسّد الإلهي ليطال المائتين منذ الدهر. فكان موته بداية جديدة لتاريخ البشر وخلقاً جديداً.

لطالما آمنت الكنيسة أنّ صليب المسيح كان ذروة التدبير الحاصل بالتجسّد الإلهي وغاية كلّ وحي إلهي للبشر. المسيح وطئ الموت السائد على حياة كلٍّ منّا بموته الخاص. موته صار حياةً لنا، وقبره الكريم المحيي أفرغ الأحداث من إمكانيّة أسر الإنسان والتسلّط عليه. الموت بات معبراً إلى ولادة جديدة، إلى تجدّدٍ في حياة الملكوت، يحصل للإنسان في سرّ المعموديّة وسائر الأسرار الأخرى. «كل مَن اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفنّا معه بالمعموديَّة للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدَّة الحياة» (رومية ٦: ٣–٥).

المعموديّة قيامة سريّة بالمسيح، بالإشتراك في موته والقيام به ومعه إلى الحياة الأبديّة (كولوسي ٢: ١٢؛ فيليبي ٣: ١٠). المسيحيّون يُدفنون في ماء المعموديّة مع المسيح، ينحدرون معه سريًّا إلى ظلمة الموت، لكيما يقوموا أيضاً معه بقوّة روحه القدُّوس، ويعبروا من الموت إلى الحياة. فالمعموديَّة، كما يسمّيها القديس كيرلس الأورشليمي، «وقت للموت ووقت للولادة».

هذا ويؤكّد الرسول بولس بأنّنا «إن كنّا قد متنا معه، فسنحيا أيضاً معه» (٢ تيموثاوس ٢: ١١). فنحن بالتالي مدعوّون أن نشارك في موت المسيح وفي عطيَّة الحياة الإلهيَّة هذه عبر أسرار الكنيسة. المسيح الحاضر في كنيسته يفعّل

ويظهرها المسيح نحونا؟ مَن أظهر محبة كهذه المحبة؟ أين حنان الأم من حنانه؟ مَن أحب عاقاً واستمر على حبه؟ مَن احتفظ بالجراحات التي قَبِلها محبة بالعاق؟ يحتفظ المسيح بآثار الجراحات حتى وهو جالس على العرش السماوي كملك ممجد حباً بنا. وبهذه الطريقة يكرّم الطبيعة البشرية. المخلّص يحبنا جميعاً ويدعونا إلى ملكوته. انه يعتقنا من عبودية الخطيئة ويجعلنا أبناء للأب السماوي. فتح السماء للجميع وأرشدنا إلى الطريق الذي نود أن نسلكه. أعطانا أجنحة روحية لنطير إلى آفاق روحية سامية. وعندما يرى ان التواني قد غَمرنا يرجونا أن نستيقظ . حتى الآن لم أذكر أسمى مثال لمحبته التي أظهرها نحونا نحن عبيده. إنه لم يعطنا خيراته السماوية فقط بل وهبنا بالمناولة الإلهية كل ذاته وجعلنا هيكلاً حياً لله. إن أجسادنا هي أعضاء للمسيح والشاروبيم في السماء تسجد للمسيح رأس هذه الأعضاء.

القديس نقولا كاباسيلاس

الأسرار ويهب الحياة. والقدّيس نيقولاوس كبازيلاس يوضح كيف أنّ المسيح «في تقديم ذاته وبذلها مرّة واحدة للكلّ، لم ينقطع عن كهنوته، بل هو يمارس هذه الخدمة المستديمة من أجلنا، حيث أنّه وسيطنا عند الله إلى الأبد».

لهذا فإن قوّة قيامة المسيح ومعنى موته، يستعلنان بشكلهما الأكمل في سرّ الشكر الإلهي، الإتحاد بجسد الرب ودمه المقدسين. المسيحيّون ينالون بهذا السرّ ما هو أسمى من خلود طبيعي للنفس والجسد. إنهم يحظون بالشركة غير المنقطعة مع الثالوث المحيي، ومع الحياة الإلهيّة. يدخلون في «شركة التألّه»، على حدّ تعبير القديس غريغوريوس بالاماس. الله يسكن فيهم ويجعلهم هيكلاً لكمال ملكوته.

وحده المسيح وهب الإنسانيّة نور الله العجيب، والاتحاد به والحياة معه، لمّا بسط يديه على الصليب. الرب يسوع حقّق فداءنا على الجلجلة. وأمّا المعجز الحادث عند فجر اليوم الثالث، فيبقى دعوة مفتوحة من الكنيسة ومن الإنجيل لنا لنشارك في هذا الخلاص.

والخلاص توبة وقيامة، موتٌ عن الخطيئة وفرحُ الحياة في الله. الخلاص استيعابُ الإنسانيّة لنور المسيح المتدفّق عليها من جسده القائم. هذا النور الحقيقي الذي يظهر في العالم لينير كلّ إنسان آتٍ إلى العالم، وليغني وجود الذين يحبونه. يغنيهم بالنعمة المؤلّهة التي تجعلهم أبناء الله، «ملح الأرض» و«نور العالم»، تجعل من حضورهم في مجتمع الناس الخميرة الصالحة التي تخمّر العجينة كلها.

من أقوال الاباء

أي مشهد أبهى وأجل من مشهد السيد والوارثين معه؟ جوقة من المغبّطين وجموع من البشر الطافحين بِشْراً، وشمس من العدل اللماعة من المجد الإلهي ستنزل إلى الأرض من السماء في اليوم الأخير، وستظهر الأرض شموساً أخرى ستسرع لملاقاة شمس العدل وإذاك سيمتلئ الكل بالنور، وسيكون آنئذ مع المسيح الذين قضوا حياتهم في دراسة كلام الله، ومع الفقراء بالألم والمحبة، ومع المسيح بالرغبة والجد، سيكون مع المسيح أولئك الذين تشبهوا بآلامه وأعطوا نفوسهم للسيف وأجسادهم للجَلْد والحريق والموت يشيرون إلى الجراحات في أجسادهم المشرقة بالمجد، والتي قبلوها راضين من أجل المسيح، ويرفعون آثار الجراح كرايات لغلبتهم وظفرهم. كل هؤلاء سيشكلون الفئة الظافرة التي غلبت بجراحاتها كما غلب الملك الأزلي لأنه ذُبح. نرى يسوع بالآلام متوّجاً بالمجد والشرف (عب ٢: ٩). عندما ندرس هذه الأمور ونفكر بها سنرى كم رفعنا السيد الجزيل الرحمة عالياً. واحتراماً لهذه الرفعة لذواتنا سنبتعد عن الخطيئة.

القديس نقولا كاباسيلاس

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb